الفشل بدراسة فكر النهضة دراسة تفصيلية وبرؤية جديدة · فحين يوضع هذا الفكر داخل الممارسة التاريخية فانه يكشف عن تناقضاتـــه ، التـــي تعكس التناقضات الاجتماعية داخل سياق بناء مشروع السلطات القطرية ·

يكشف هذا « البيان » انسداد الفكر البرجوازي وعجزه وهزيمته · لكنه ، في بحثه عن رسم خط بياني لتطور فكر وسياسات « النهضة » ، يهمل دراسة بعض التناقضات الهامة في هذا الفكر · والتي تعكس محاولة اجزاء من النخبـــة العربية البحث عن قاعدة شعبية للاستقلال الوطني · ولعل التيار الذي يمثلـه شكيب ارسلان ، في اصراره على اولوية الصراع مع الغرب الامبريالي على كل صراع اخر ، كان الصيحة التي تستكمل رؤية الافغاني ، وتضعها في افـــق الممارسة السياسيـة ·

« ان نظامنا الحديث ، منذ النهضة الى اليوم ، لا يقوم الا بثلاثة مبادىء : النهب وحصيلته الافقار ، والقهر وحصيلته الاسترقاق والاستعباد السياسي ، والترجمة والتقليد وحصيلتهما الجهل وقصور نشاطات الحياة على النشـــاط الاولي والبدائي البيولوجي » ·

ان نهاية قدرة الايديولوجية المسيطرة ، بمختلف تياراتها واتجاهاتها ، على الفعل ، لا تبشر فقط بولادة الديكتاتورية المكشوفة ، لكنها تشير ايضا الى ولادات متعددة لنسق فكري وسياسي جديد · فالممارسة الدموية التـــي خاضتهـــا الجماهير ، من رمال سيناء الى الشاطىء الفلسطيني ـ اللبناني ، هي مؤشـــر لولادة جديدة · فدراسة فكر « النهضة » خارج اشكالية « الاصلاح » بتياراته الثلاثة : الاصلاح الديني ، والاصلاح السياسي والاصلاح الاقتصادي ، يقـود الى تأسيس فهم جديد للديمقراطية · فالديمقراطية الشعبية وحدها ، ديمقراطية المنتجين ، هي التي تستطيع انتشال الامة من هاوية التشرذم التي تقاد اليها ·

هل اجبنا على سؤالنا الاساسي : ما هو النفط ؟

ام ان العقم والصحراء التي تحاول ابتلاع المدن ، تحتاج الى دراســـات تفصيلية ، ليس هذا البيان الا مقدمتها ؟